



يقلم : عمر عثمان خضر

انتاع الغرب عن عمد - في مرحلة السيطرة الاستعمارية - الكثير من الافتراءات عن العرب والعضارة العربية .. وظلت ادعاءاته عن بدائية الانسان العربي تمثل الوجه القبيح لعضارة المستعمر التي تسعى الى تشويه تاريخ الشعوب *

ولقد ظلت الجامعات البريطانية خلال القرن التاسع عشر واول القرن العشرين تحت سيطرة حفنة من العنصريين الذين يجاهرون بأن موهبة الخلق والابتكار من مميزات الشعوب الاوروبية وحدها ..! وتناسوا ان العضارة العربية الاسلامية هي الشريان الرئيسي الذي امد اوربا بالعلم والعضارة ومهد لقيام النهضة الاوروبية ..! ولقد زعم هؤلاء العنصريين بأن العرب لا يملكون القدرة على ابداع فنون راقية لذلك رفضت الجامعات البريطانية دراسة المعمار المصري الفرعوني وفضلت عليه المعمار البيزنطي على اساس ان المصريين - كجزء من الشعب العربي - ليست لديهم فنون تستحق الاهتمام !! وتجاهلوا التراث المعماري الهائل في مصر وسوريا وبقية بلدان العرب ..!

وفي مجال الفنون القولية زعموا أن العرب لم يعرفوا فن القصة والرواية وتجاهلوا بالتالي التراث القصصي الهائل للعضارة العربية والذي تغفل في تراث اوربا عبر السنين .. وفي هذه السطور سنحاول لقاء الاضواء على فن القصة والرواية في العضارة العربية *

القصة في اللغة العربية :

أدعت اللغة العربية بسموها وراقبها المستشرقين الأوروبيين كما أدعت لغة القرآن اللغة الضعوب الإسلامية .. وقد كرم الله سبحانه وتعالى اللغة العربية فنزل بها القرآن الكريم ولتحفظ اللغة العربية من التفتك والاندثار قال تعالى : (١) * وألهم تلك آيات الكتاب المبين * انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين * صدق الله العظيم *

وقد دفع الإعجاز اللغوي والأدبي في القرآن الكريم .. وما يحويه من قصص أروع من كل ما يخطر على عقل بشر .. ويحكي في أعجاز هائل أطواراً من تاريخ البشرية يعجز الإنسان مهما أوتي من الثقافة والبلاغة والموهبة أن يجاريه .. وقد ظلت ولا تزال قصص القرآن الكريم أعظم ما سمعت به البشرية واستوعبته .. وقد دفع هذا الإعجاز اللغوي .. وهذا اللسان الكامل المستشرقين إلى أن يتساءلوا .. كيف استطاع المجتمع العربي في الجاهلية أن يستوعب هذه اللغة الراقية ..؟ ومن هنا بدأت البحوث في اللغة العربية والمجتمع العربي قبل الإسلام .. وشبه الجزيرة واكتشاف كنوز اللسان العربي وقد خرج المستشرق الإيطالي كايثاني Caetani العربية الموطن الأصلي للعرب .. وبدأت محاولات تتبع الحضارة العربية .. بقولته الشهيرة : (٢) « من المعانق التاريخية أن لغة شعب من الشعوب هو عنوان تقدمها » وهي نموذج لما وصلت إليه في مدارج الحضارة .. ويستعمل على أمة متغللة حضارياً أن يكون لها لغة راقية ولسان بليغ وأدب وشعر وقانون متقدمة » .

لقد ارتبك المستشرقون وهم يجدون أنفسهم عند دراسة المجتمع الجاهلي أمام مجتمع متخلف لا يتناسب مع سمو اللغة العربية بأدائها وفنونها .. وفشل كل قياس لانحدار هذا المجتمع وتغلله وتراثه المتكامل من اللغة .. ومن المستحيل عقلياً ومنطقياً أن تكون اللغة العربية بهذه الدرجة من السمو دون أن يسبق وجودها حضارة متقدمة راسخة .. وعلى ذلك فاللغة العربية الفخمة التي عرفها العرب في الجاهلية لم تكن من نتاج هذا المجتمع .. وإنما هو نتاج مجتمع عظيم وصل إلى قمة الحضارة في عهود سابقة .. وقد حاول (كايثاني) أن يتتبع تاريخ الحضارة العربية ووجودها في الأبحاث الأركولوجية ما يؤكد أن الجزيرة العربية كانت منذ أكثر من عشرة آلاف سنة جنة عامرة بالأنهار والبحيرات والغابات .. وتنعم بحضارات متقدمة .. وقد أكد على ذلك البحوث التي أجراها (قبلي) في صحراء الربع الخالي حيث اكتشف بها حيوانات ضخمة وحيوانات بحرية ووجود سواحل بحيرات قديمة طمرتها الرمال .

الحضارة العربية عبر التاريخ :

في بحثنا عن أصول اللغة العربية علينا أن نتوقف قليلاً عند تاريخ جزيرة العرب .. فمن المؤسف حقاً أن الدراسات التاريخية للحضارة العربية تتوقف عند حدود الألف الثانية قبل الميلاد .. وتبدأ بحضارات جنوب الجزيرة العربية .. وربما لو تقدمت الدراسات الأثرية في صحراء الجزيرة العربية لأمكن التوصل إلى تاريخ أكثر قدماً .. ويقول فيليب حتى في مجلده تاريخ العرب (٣) « إن كل الشعوب التي كونت حضارة في شمال الجزيرة العربية وشمال أفريقيا والهند الخصيب قد

هاجرت من قلب الجزيرة العربية .. وأنه في حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م خرجت هجرة ضخمة استوطنت مصر وكونت مع سكانها هذا الشعب المعروف في التاريخ ، .. وتؤكد الدراسات الجيولوجية أن الجزيرة العربية شهدت قبل أن يتوزج الجليد في أوروبا في العصر الجليدي الرابع مناخاً يشبه مناخ جنوب البلقان .. أي أنها كانت منطقة معتدلة باردة تنمو فيها الغابات والحشائش .. وأرض خصبة لقيام حضارات زاهرة .. ثم بدأ زحف الصحراء التدريجي على الجزيرة وتوالت الهجرات نتيجة القحط والجفاف .. وهذه الهجرات هي التي كونت فيما بعد حضارات الشرق الأوسط المعروفة .

نخلص من هذا إلى أن الجزيرة العربية هي موطن الحضارات الزاهرة في مصور لا نعرف منها شيئاً .. هذه الحضارات هي التي أنتجت اللسان العربي .. فاللغة العربية حسيطة جميع لهجات الجزيرة العربية .. وهو يعمل في طياته تاريخ هذا الشعب العريق .. وقد كان نزول القرآن الكريم المعجز بنصه وروحه أثر عظيم في حفظ هذه اللغة وإثرائها .. ونحن نعلم أن الكتب المقدسة الأخرى ترجمت إلى شتى اللغات .. وفقدت أصالتها نتيجة لتدخل المترجمين والنساج .. واللغة العربية قد وجدت في القرآن الكريم غير حماية من التفكك والانحيار شأن لغات العالم بأسرها ..

ولو تتبعنا الآن مصطلح « قصة » في اللغة العربية سنجد أنه مأخوذ من « قصة الأثر » وهي بذلك مرتبطة بتصجيل الواقع والمثل على تعليه . ولذلك كانت القصة العربية في الآداب القديمة والحديثة ما أدى إلى امتزاجها بالتاريخ وتطورت بعد ذلك لتستوعب فنون المرد جميعاً .. وتعريف القصة في القاموس الفرنسي هو « رواية واقعية أو خيالية تستهدف إثارة الاهتمام بتصوير المواطن والمثل الأخلاقية » وتغير مفهوم القصة في الآداب مثبات المرات .. وكل تفسير يؤكد على الاهتمام بتصوير الأحداث والظروف النفسية والبيئية وتحليلها للوصول إلى فهم أكثر للإنسان ..

والقصة بهذا المفهوم جزء من تراث العرب القديم والحديث على السواء فالعرب عرفوا منذ أقدم المصور فن الرواية .. والعالم قد أخذ منهم الكثير سواء قبل الإسلام أو بعده ..

القصة العربية قبل الإسلام :

اعتمدت أوروبا في أول معرفتها بفن الرواية على تراث الأساطير اليونانية والرومانية .. وظلت قاصرة من عطاء فن متقدم حتى تباثير عصر النهضة المعروف

يتأثره بالتراث العربي في الأندلس وصقلية وإبان الحروب الصليبية (٥) .. وقد ظل التصور الشائع بأن العرب لم يعرفوا فن الرواية الأسطورية .. والحقيقة أن المجتمع العربي الجاهلي قبيل الإسلام لم يكن يحفل بالأسطورة .. وهذا بالطبع لا ينفي وجودها ... فالإسلام قد قضى على التفكير الأسطوري عند العرب .. وبالتالي على تراث الأساطير الشائعة قبل الإسلام فنحن نجد في ثنايا القصص الشعبي في صدر الإسلام بقايا أساطير قضت عليها العقيدة السمة .. ذلك أن الأسطورة بطبيعتها ترتبط بالعقيدة الوثنية .. والمجتمع الجاهلي رغم وثنيته كان ينحو نحو الواقعية حيث أن الطبيعة بقسوتها أبعدت الإنسان العربي عن الفرق في مناهات الأساطير والبعد عن التفكير الخرافي كما في قول الشاعر الجاهلي :

حياة ثم موت ثم يموت
حديث خرافة بما أم عمرو

ورغم ندرة ما وصلنا من أساطير العصر الجاهلي فإننا نستشف من هذا الخبر وجود بعض الأساطير .. يقول الألويسي في كتابه « بلوغ الأرب » (٦) « أن المزي كانت شيطانة بعث الرسول (ص) إليها خالد بن الوليد لما افتتح مكة .. وكانت يظن نخلة .. فاتاها .. فاذا بحيشية نافذة شعرها ، وأضعة يدها على عاتقها تعرف بأنياها قفريها خالد ففلق رأسها .. ثم أتى النبي فأخبره فقال : تلك المزي ولا عزى بعدها للعرب ، أما أنها لن تميد بعد اليوم » .

وكلنا يعرف أن المزي كانت أحد الأصنام التي عبدها العرب في الجاهلية .. وربما ارتبطت بالأصنام أساطير وقصص .. قضى عليها الإسلام .. كذلك نعرف أن العرب في الجاهلية كانوا يحكون بعض القصص الأسطورية من ذلك ما يقال (٧) : « إن لقمان خير بين بقاء سبع بمران سحر .. وبين سيمة أفسر كلما هلك نمر خلفه نمر آخر .. فاستحق الأباقر واختار النور .. فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : يا عم .. ما بقي من عسك إلا عمر هذا .. فقال لقمان : هذا ليد (ليد بلسانهم يعني الدهر) .. فلما انقضى عمر ليد رآه لقمان واقفا فناداه : انهض ليد .. فذهب لينهض فلم يستطع فسطع ومات .. ومات لقمان معه » !!

هذه أسطورة عربية عن نهاية الإنسان الطبيعية وهو الموت .

وتتعدد الأساطير في ثنايا الحكايات القديمة .. ولكنها في الغالب مبتورة وناقصة .. ولعل أبرز مجال لدراسات « القصة » في الحضارة العربية هو تتبع الحكايات الشعبية العربية وتأثيراتها على التراث العالمي .

المقامة كفن قصصي :

عرف المجتمع العربي قبل الاسلام أشكال عديدة للسرد القصصي لعل أشهرها « المقامة » وهي نوع من السرد القصصي ظل الدارسون لفترة طويلة يتصورون أنه ظهر على يد ابن دريد أو بديع الزمان الهمزاني .. ولكن البحوث أثبتت أن «المقامة» كانت من الأشكال الأدبية التي عرفها المجتمع الجاهلي .. وكانت تجمع بين البلاغة والابتداع القصصي .. وفي العصر الاسلامي تغير شكل المقامات من مرد لبعض الأحداث والمواقف التي عرض لشخصيات كاريكاتورية في قالب نثري .. وقد قامت النهضة الأدبية في مجال القصة العربية الحديثة بمحاولات لمحاكاة « المقامات » نرى ذلك في حديث عيسى بن هشام ومقامات اليازجي كما صاغها في قالب جديد الأستاذ توفيق الحكيم في « يوميات نائب من الأرياف » .

الشعر الجاهلي وفن القصة :

يحري الشعر الجاهلي قصصا راقيا .. وفيه كل مقومات القصة المعاصرة من أحداث وشخصيات ومواقف .. وقد تحولت هذه الاستثمار الشهيرة بسا تحويه من قصص إلى ملاحم شعبية استمد الغرب منها الكثير من عناصره القصصية .. قصة البراق : وهي تحكي عن الصراع بين القبائل العربية بأغلاقياتها وراثتها والعصارات المجاورة (الفارسية) ذلك أن المجتمع العربي في الجاهلية كان مفككا والقبيلة هي النظام السائد .. والحروب القبلية تنهك الناس في كل مكان وتحكي قصة البراق عن بطل عربي أحب ابنة صه (ليلى بنت لكيز) وخطبها وانشغل بحرب البوس .. واختطفه الفرس (ليلى) .. وحاول « البراق » استعادة خطيبته للقاسورة ففشل .. فأتجه إلى القبائل العربية معاولا توعيدها لمحاربة الفرس لانقاذ « ليلى » والشرف العربي .. ونجح في مسعاه حين بدأ الرواة يرددون شعر « ليلى » الذي عز نخوة العرب المعروفة ومنها البيت الشهير :

ليدوتسي ، عذوتسي ، ضربوا

منعس العفة منسي بالمعا

وآثار القبائل العربية وكانت أبيات « ليلى » كالنار تشتعل فيهم أسعى مشاعر الشهامة والتضحية ... فقاتلوا في سبيل الشرف العربي حتى انتصروا -

قصة مضاى (A) ..

لعل قصة مضاض هي من أقدم ملاحم الحب الغريب في التاريخ .. ذلك أن
 الحبيبة تهجر حبيبها .. رغم كل تشوقاتها له ، بسبب الفيرة .. وتحكي القصة عن
 الفتى العربي مضاض الذي أحب فتاة من أمته تسمى « مي » نشأت معه منذ
 الطفولة .. واشتهر تودده العنيف لها وتقدم يخطبها فرفضت به أسرة « مي » وبدأ
 كان قصة الحب في سبيلها للتوريج بالزواج .. وهنا يظهر تناقض لمضاض في حب
 « مي » هو قيس بن سراج الذي أراد الدس لمضاض .. فاتفق مع فتاة أخرى هي
 « رقية بنت البهلول » أن تطلب من مضاض أن يسقيها في حسي وفي وقت تكون فيه
 « مي » مشغولة بمراقبته .. وهكذا يتصاعد العداء الدرامي .. وترى « مي » رقية
 بنت البهلول وهي تهمس لمضاض بشيء وهي تقترب منه جدا .. فتشتمل تيران
 الفيرة في قلب « مي » بينما مضاض المسكين لا يعرف شيئاً سوى أن الفتاة تطلب منه
 أن يسقيها فيأتي لها بالنام .. فتزعم له أنها مشبعة فيسقيها مضاض بيده بينما « مي »
 تراقبه في جنون .. ويتقدم قيس بن سراج فيعكي لها حكاية ملققة من عشق مضاض
 لرقية ويزعج أنه سمع ينشد :

رقية قلبي قد تبين صدعه
 وللحبيب منه شاهد ودليل
 رايت الهوى يهوى وللحب واصل
 فهل لك أن يلقي الغليل خليل ؟

ويقول انه سمع « رقية » تجيبه بقولها :

اصون الهوى والطرف متني كاتم
 ولا يعلمن الناس اذ ذاك ما دائسي
 سوى انني قد فزت منك بنظرة
 تجرعت عذب الحب منها مع الماء !

وتثور « مي » وتهجر حي مضاض بعد أن تشد :

مضاض عذرت للحب والحب صادق
 وللحبيب سلطان يعز اقتداره
 اذا هاج ما عني لأول غير
 علاه اشتغال لا يطابق استعاره

ويدهش مضاض لهجر خطيبته ويهزل وراوعا ويثد لها :

سلام قبست النار يا أم غالب
بنار قبس حين هاجتك ناره
على كبد حري وأنت عليمه
بغيب وفيسق لا يبين خصاره
فإن لم يكن وصل فلنفظ مكانه
اليسه والا موطن الموت داره



هذه القصة الغريبة في أحداثها الدرامية نموذج من القصص العاطفي في العصر
الجاملي .. كتبت نثرا يشغله حوار قصير وفيه كل مقومات القصة الحديثة فنجد
مضاض بعد أن يقتل في استعادة محبته يصوم عن الطعام والشراب ويهزل ويترش
للهلاك .. وتصل « مي » في لحظاته الأخيرة بعد أن تتأكد من حبه .. لكن مبهات ..
فقد مات مضاض !!

وهذه النهاية المأسوية للحب المفيد تجدها في سلسلة قصص العشاق التي عرفت
بالحب العذري نسبة إلى قبيلة بني عذرة التي ينتسب إليها جميل بن منمر صاحب
القصة المشهورة والذي يقول في الحب :

يقولون جاهد يا جميل بقرّة
وأي جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد !

لقد ازدهر الادب الرومانسي بأشكال فريدة من القصص العاطفي ظل الناس
يندولونها إلى عصرنا الحالي .. فما زال يرمز لأي عاشقين باسم قبس ولبى ..
وهي مأساة الماشق الذي يجبره أهله على هجر زوجته وحبيبته .. ويفقد عقله وهو
يحاول استعادتها .

أتبكي على لبيتي وانت تركتها
 وكنت كات غيبة وهو طانع ؟
 فلا تبكين في اثر شيء ندامة
 اذا ترعته من يديك النوازع
 اقضي نهاري بالحديث وبالمسنى
 ويجمعني والهـم بالليل جامع

وقد وصلت اشعار قيس في لبيتي الى أهلها فأبعدوها وحدود فقال :

فان يمنعوها او يحل دون قربها
 مقالة واش او وعيد امير
 فلن يمنعوا عيشي من دام البكا
 ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

ويقول :

وإن تك لبي قد أتى دون وصلها
 حجاب منيع ما اليه سبيل
 فان نسيم الجو يجمع بيننا
 ونبصر قرن الشمس حين تزول
 وارواحنا بالليل في الحى تلتقي
 ونعلم اننا بالنهـار نقيـل
 وتجمعنا الارض الفضاء وفوقنا
 سماء نرى فيها النجوم تجول

وعندما حاول أهله تشويهها وذمها كان يقول :

يقولون عنها فتنة كنت قبلها
 بغير فلا تندم عليها وطلق
 فطاومت أمدائي وعاصيت ناصحي
 والفررت حين الشامت المتعلق
 وددت - وبيت الله - اني عصيتهم
 وحملت في رضوانها موثق

وتكره عيشي بعدها كل منظر ويكره سمي بعدها كل منطق

وتستلهم القصة فتعطي كيف تبحر أمل قيس في تغلبتها منه .. وأما ليني
زوجها أهلها برجل آخر .. ويفقد قيس عقله .. وتهلك ليني ويهلك معها قيس -

الملاحم والقصص الشعبي قبل الإسلام :

تملك معظم الشعوب ملاحم شعبية تعكس عن قصص البطولة والفداء .. وتجسد
أحلام الشعوب .. وقد عرفت أوروبا الثمراء الشعبيين في المصور الوسطى في
الأندلس بأسلوب عربي .. فانتشروا بعد ذلك في كافة أرجاء أوروبا ينشدون القصص
الشعبية .. وقد ظل الأوروبيون لفترة طويلة يتصورون أن الأفريق هم مبدعو الملاحم
الشعبية حتى اكتشفوا الملاحم الشعبية في الهند وفي حضارات الهلال الخصيب وفي
الحضارة المصرية القديمة وفي أجزاء أخرى من العالم .. وقد لاحظ بعض
المستشرقين أن بعض أحداث الآلهة والأوديسة للشاعر الإغريقي هوميروس تتشابه
مع القصص الشعبي العربي .. والواقع أن العرب أبدعوا الملاحم الشعبية من أقدم
المصور .. وشملت هذه الملاحم أجزاء من تاريخهم وبطلانهم ونضالهم ضد
الاستعماريات القديمة .. وقد تعرضت هذه الملاحم لتغيرات جذرية في المصور
الثالية لبزوغ فجر الإسلام .. ومن أهم هذه الملاحم -

قصة الملك سيف بن ذي يزن

نشأت هذه الملحمة في مرحلة قهر فيها الأحباش العرب .. واحتلوا اليمن ..
وقامت الملحمة لثرد الاعتبار للعرب فاختارت شخصية حقيقية (تاريخها معروف
جيدا) وهو شخصية الملك سيف بن ذي يزن وهو من ملوك اليمن الذين حاولوا مقاومة
الاحتلال الحبشي .. ورغم أن الملحمة تختلف كلياً عن التاريخ المعروف للملك سيف
بن ذي يزن فإن الفنان العربي قد نسجت حوله أسطورة هائلة من مولده وقيامه بقيادة
العرب .. ويلاحظ أن الفنان العربي قد جعل من شخصية الملك سيف بن ذي يزن
الذي عاش قبل الإسلام ملكاً مؤمناً على دين إبراهيم عليه السلام .. ويحارب من
أجل نشر دعوة التوحيد ويدخل في صراعات هائلة مع أعداء العرب .. ويلاحظ أن
السيرة الشعبية في طورها الأخير قد جعلت من « سيف أرعد » هو ملك حبشي حكم
بالفعل من عام ١٣٤٤ - ١٣٧٢ م (٩) وملحمة الملك سيف بن ذي يزن بما تحويه من
خوارق وخيالات وأساطير تجسيد للأحلام العربية بقيام وحدة عربية تحت قيادة ملك

عظيم .. وهي شأن الملاحم قد سلحت البطل بالعوارق ومجرت له البحر والسم
 يهدموا في رسالته السببه .. والمحنة معرضة لتعيرات جذرية وأخذت شكلها النهائي
 في مصر .. وهي محاولة عربية شعب لاجيء روح النضال ضد لغزو الأجنبي ..
 ومحاولة أسطورية تصور عهد الانحلال والفساد والتحتل في الدولة الإسلامية في
 المصور الوسطى الإسلامية *

السيرة الهلالية :

وهي من ملاحم النضال من أجل الشعب ضد أرض خصه وهي شأن المجتمع
 العربي الذي شأن في الحرية تعتمد على الأسس العربية وتعمل «تفصيل المتنوع
 وتعرض في صورة حكاية أخلاقيات العرب وحسن الهلالية لفترة صوفية من تاريخ الأمة
 العربية مصداقاً حصاً للرواية الشعبية يلهو بها حسابات المستمعين بمصر صور
 البطولات العربية *

عشرة بن شداد العربي

يقول المستشرقون (١٠) ، ان قصة عشرة هي منحة العرب الكبرى وهي سرور
 معالي البيت العربي في انهم قد سادته على الأسلا .. وهي ما جرى فيها من وقائع
 وحروب .. وتبين تضادهم وعدائهم ومثلهم الأخلاقية .. وقصة عشرة لمسي تقوم
 على فكرة الصراع ضد التفرقة العنصرية .. قصة الأسود من جارية سوداء يعيش
 كسيد صاحب ربح مكائبات الهائلة .. ويقع في حب عبدة بنت عبده الذي لا يجرؤ
 أن يفكر في الارتباط به .. وتتأجج الفرصة الذهبية لعمدة حين تهاجم قسطنطين من
 قبيلة أخرى .. وفي أثناء المعركة يخرج شجعان بانفاس عشرة الذي يرفض أن
 يحسب لغيره .. ثم يصادف به الأب الشرعي .. وعندها حين شداد أبوته بصيرة
 «بن ربيعة .. سمح كل طاقت لمعارض الظلمة ويهدم لامرءه ويعطي الديار
 والساء والأحبال ويصير مصرع حتى يزوج عشرة كمدارس بتفيلة .. وبعد طول
 معاناة يفوز بأبنة صه حيلة .. *

وقصص لغروسة العربية كانت لتبع يدى أحدث منه بكثير من القصص في
 صور لغزة .. وندمة عشرة هي بالتأكيد العمل الفني الذي له الذي تعرض لمشاكل
 اللون والوضع الفني .. وهي جذيرة شأن توصل في مصداق أولي القصص
 الانساني *

الإسلام والقرآن النبوية

جام الاسلام - وتعتبر وحده حياة على الارض لعصاة - جاء الاسلام
والمجتمع العربي منهار بعمامة - يعيش حياة تعرب اسي بوجوده - - وتصيح قليم
اخلاقه كثيرة لفساد عثماني في مجتمع - - واستمع العرب في اسفار لابات
لكتاب الحكم - - واصبح لهم - وهم سادة بكية - ا أي كدم عبد كلام بله ورسوله
صلى الله عليه وسلم هراء وتخریب - - ولعرب انكریم جاء بروجع بعض من
تربیع انسان وعین الانساء - وعن ملو - من تأریخ الارض - لتبریه ما یعمر أي
عقل الا ان یقتبیه فی شلوخ و یصل - - و تحشرت قصص بمر - لرمز و یکن -
واحدثت بلاسات دمیة وحریة وكرامة - - وفي مجتمع منهار كمجتمع لجاهلية كم
هو مدخل وعصیم فلاسات ان یعترف من هذه الیكنوز بریدیة - - فلا عجب ان یحدث
ادولة لاسلامیة فی حلال عربین منه فقط ان تصوي براصوریات عظیمة
كامیراطوریات امرس والروب - - وان یسقطل بمر بقراب شعوب صائنة تصب
من السند المر مشارف أوروبا -

قصص القرآن الكريم

يحتوي الكتاب بأكمله على أربع قصص لشيء تصور أدق الأحداث وأهم الأحداث في تاريخ البشرية في تصويره فهي مبدع ٥٥ وقصص القربان القصص تشد للمدعيين في كل مكان وهي أحد الأدبيات ٥٥ وهذه القصص هي أن سمعنا لشيء تحويل أو تعريف كتاب الكتب لقصة أخرى أعظم من أي خيال سري ٥٥

ولنقرأ الآيات المعجزة التالية من سورة مريم (١) :

قال تعالى : **وَأُذَكِّرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا :**

لألت : ائى اعود بالرحمن منك ان كنت تقى *

قال : انما انا رسول ربك لاهب لك علما ذكيا •

قالت : انى يكون لى غلام ولم يمستنى بشر ولم اى بهيا *

قال : كذلك قال ربك هو علي هين ، ولنجعله آية لخاص ورحمة مما وكان
أمرا مقصيا .. فجمسته فانتدبت به مكانا قصيا .. فاجأها المفاسد الي جدد العفة

قالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا .. فتأداهما من تحتها الا تعزني ..
 قد جعل ربك تحتك سريا .. وهزي اليك نخلة يجذع النخلة تساقط عليك رطبها جنيا ..
 فكذي واشربي وفري عينا .. فلما ترين من البشر احدا فقولي ابي نزلت للرحمن
 صوما فلن اكلم اليوم انسيا .. فالتت به قومها تعمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت
 شيئا فريا .. يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بقيا فانارت
 اليه ، قالوا :

— كيف تكلم من كان في الهد صبيا ؟

قال : اني عبدالله اتيتي الكتاب وجعلني نبيا .. وبرأ بوالدتي ، ولم يجعلني
 جبارا شقيا .. والسلام علي يوم ولدت ، ويوم اموت ، ويوم ابعث حيا ..

صلّى الله العظيم

هذا التصوير الالهى لقصة مريم بهر الانسان .. أي اسان ينهمم اللمة
 العربية .. ولباء القصصى مكامل .. لا يحتمل أي تاويل .. لذلك كنت قصص
 القرآن الكريم مدرسة للتفسير .. اسمدوا به الى حاسب الايمان بالله ورسوله
 صبي لله عليه وسلام قدرات لعوية ونية .. ولكتب المقدسة الاخرى مثل التوراة
 والانجيل قد شوهت القصص الاصلية .. ذلك أن الأديان الاسودية تهدف الى تصوير
 الاسان بطريق الايمان الصحيح .. كما تهدف الى السمو (١٢) بمرتبة الاسماء ..
 وسبح التوراة .. وقد شوهت صور أنبياء بني اسرائيل والصفت بهم صفات هي في
 مجملها أخلاقيات الدعات الوصيعة .. مثل ويثرو جيمس فريزر أن التوراة قد
 صورت شخصية يعقوب النبي كمثال لعمش والعداوة والغيرة والمكر (١٣) والفرق
 هائل بين قصص الفرار الكريم العطسة .. وبين الصور المشوهة للصيغة التركيب
 في التوراة المعروفة .. وسععرض مقارنة بسيطة لما رواه القرآن الكريم وما عرسته
 التوراة وقام بقده جيمس فريزر .. فهي قصة آدم تروي التوراة أن الرب قد مرد
 آدم وحواء من الجنة خوفا من أن يأكلا من شجرة العبد فيفسدها في العود ..
 (حاشا لله) .. وقال الرب الاله هوذا الاسان قد صار كواحد من عارفا بالخير
 والشر .. ولعله يمد يده وينحدر من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا .. أبدا
 فأخرج الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي أهدى منها (١٤) -

هذا التصوير الرديء الذي حرّفت فيه القصة الأصلية لتندم أخراص حاحات
 اسرائيل تقابلها صورة رائدة رياضية في القرآن الكريم - قال تعالى في سورة
 البقرة (١٥) - وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجتك الجنة وكلا منها رزقا حيث تشتا

« لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الخطيئين » . وأرلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه ولما خطوا بمصكم لبعض هذه وتكم في الأرض مستقر ومناخ لن خبيث » .

صلى الله العظيم

وفي سورة طه (١٦) يعرض القرآن الكريم لقصة آدم بصورة متكاملة تحكي لقصة آدم عليه السلام وحواء عليها السلام منذ خلق في الجنة إلى أن أخرجها بها . قال تعالى « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هي أولئك عسى شجرة الحنظل ومنك لا يلى » . فكلما بها فدت لهما حوائلهما ووفقا بمصفا عليها من ورق لينة وعصى آدم ربه فغوى » .

وهذا التصوير القرآني العظيم لقصة الخلق ولدي يعزى نحو لتجريد شأن القصة القرآني . . فلم تصب لنا الآيات بوعية الشجرة ولا للكيفية التي دخل بها الشيطان الجنة . وهو تجريد رائع ذلك أن دم أخرج من الجنة لأنه كان مقفرا به أن يصر الأرض وأدلين قوله تعالى « وأد قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . قالوا أتجعل فيها من يعبد فيها ويسمك السماء . ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون » (١٧) .

صلى الله العظيم

وسد ذلك بعد أن قصص القرآن الكريم تتناسق في منطق لحكي تدريج لآسان وأكون . . بهما بعد الكتب المقدسة المعروفة وهي نحو إلى تشخيص الرب على نحو أساسي . . فهو يمشى في الجنة في المساء المزمع (١٨) . وهو يهدي آدم الذي امتبأ وراء الشجر . الحج . . هذه التلميحات التي حشو بها الكتب المقدسة بعد تعريضها جمعت تلك الكتب بحري أفكارا في غاية السذاجة والتناقض . . بينما قصص القرآن الكريم تتحدث عن إرميا أي مغيرة بشرية أن تأتي بشئيه . . وهكذا كانت قصص القرآن الكريم خير ود لغرب . . وسراي عرض بعض قصص القرآن العظيم .

قصة الطوفان الرائعة في القرآن

قصص القرآن الكريم حقائق تاريخية لا تقبل مناقشة فهي من عند الله مباركة وقصة الطوفان العظيم الذي أغرق الأرض بس عليها ولم ينج منها سوى نوح وجماعته المؤمنة . . وقد قصص القرآن الكريم قصة الطوفان أروع تلخيص (١٩) . قال تعالى « وأوحى إلى نوح أنه من يؤمن من قومك إلا من ظلم فلا تنبش بها كذبا » .

يقملون ٥٥ وأصع أعلت يا عيسا ووحيسا ولا تعاطسي في الدين ملعلوا بهم
مقرقون ٥٥ ويصع أعلت وكيسا مر عليه ملا من قومه سحروا به ٥

قل ان تصحروا ما فاما سحر سكم كما تصحرون ٥٥ سوف تعلمون من
بأنه عذاب بحريه ويعل عليه عذاب مقيم ٥٥ حتى دا جاء أميرا وهار التبور قلنا
أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأعلت لا من سبق عليه القول ومن امن وما من
معه الا قليل ٥٥ وقال اركبوا فيها بسم لله صحراها ومرسدا ان ربي لمعوز رحيم ٥٥
وهي تجري بهم في موج كالجبال وما دى موج ابه وكان في مزل يا بني اركب معنا
ولا تكرر مع الكافرين ٥٥ قال سادي ابي جيل بمقصي من ماء قل لا عاصم ليوم من
امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المقرين ٥٥ وقيل يا ارمي ابني
مادك وما ساء اقلعي وغيص الماء وقصي الأمر وامتوت بحسب اليهودي وقيل بعدا
للقوم الظالمين ٥

صلق الله العظيم

هذا التصوير الرائع لقصة الطوفان يختلف تماما عن التصوير الرمزي الذي
كتبه من عرفوا الكتب القديمة ٥ وقد أشنت الحمريات في بابل ان لعبارات
القديمة قد وصلتها آباء الطوفان العظيم ٥٥ فبعد ذلك ذكر في معجمات امك الاشوري
أشور ميسال (من عام ٦٦٨ ق م حتى عام ٦٢٦ ق م) ، كما نجد قصة الطوفان لني
توارثها لشر على قطعه فحاز في حمريات يسور ترجع الى عام ٢١٠٠ ق م وفيها
ذكر لمعية نوح وحشد الطيور والحيوانات فيها ٥٥ ورجع هذه الحمريات الى عصر
الملك البابلي حمورابي حوالي عام ٢١٠٠ ق م ٥ كل التصورات لسرد قصة الطوفان
الحقيقية اذ محاولات بشرية بعد ان صاغت أصول الكتب القديمة الي ان جاء
القرآن الكريم كان مدرسه عطية منها بحسب لمسلمون كل امرار الحياة وتاريخ
الاساس ٥٥ وان قصص القرآن الكريم كانت معبرة تصبر أمامها غناء الرواة ٥٥
وكانت قصة البلاء والآء وهي التي نحن حفصت لنا القصة العربية بأصولها
القديمة ٥ فلو لا كتاب الله لتعيرت اللغة العربية ورايت كما رايت بلانسية واسمات
الأخرى ٥

القصص الإسلامية العربي

استمد لمسلمون من قصص القرآن الكريم سادة قصة بلرواية ولما كانت
قصص القرآن الكريم سحر الي التجريد فقد قام علماء المصير بدور عظيم في تفسير
قصص القرآن الكريم ٥٥ والواقع ان تفسير القرآن قد تعرض لمحاولات سرانيمية

فيما يعرف بالامر نيلبات ٠٠ لكن قصصه لاسلام وقموا بحرم عند هذه المحاولات ٠
ومن ذلك ما ذكره الطبري في تمحيته على ارام المصيرين الذين عاشوا في وحد
الشجرة المحرمة (٣٠) ٠ مقال ٠ ولا عظم عندما بأي شجرة كانت على التمييز لان
الله لم يصع عباده دليلا على ذلك في القرآن او السنة الصحيحة ، وهكذا نجد ان
قصص القرآن الكريم لم تعرض لأي تمييز أو تحريم يخرج بها عن الأصل الوارد
في الكتاب والسنة ٠٠ وفي اليهود لاسلامه تميز مفهوم انتصه ٠٠ فأروع القصص هو
قصص القرآن الكريم ٠ لشي يحكي عن تزيح الارض والانس ٠ ومن لاسياء ٠٠
ومن كل ما يهم الانسان معرفته من أمور الدين والدنيا ٠

التأثيرات الاسلامية على تراث أوروبا

قامت النهضة الأوروبية ٠ في كافة مجالاتها ٠ على التأثيرات الاسلامية
العربية (٣١) بعد حكاك أوروبا بمسلم في الأندلس وصقلية والشم ايام العرب
الصليبية ٠٠ واشتر شعراء ٠ المترجمادور ٠ في أوروبا يشهدون القصص المعينة على
اساس لأول مرة ٠٠ ذلك ان في القصة في الحضارة العربية لاسلامية كان يحتفي
بالشعر لمشي ثم تطور بعد ذلك الى شعر ملحمي يصور وقائع الحروب التي كانت
لا تهدأ بين الفصائل العربية ٠٠ وبين العرب والمسلم التي تعاونهم ٠٠

وكان الشعر القصصي اسوة لاولي بقصص العربية التي أثرت بشكل مباشر
في حياة الشعوب الأوروبية ٠٠ فهو على مودها ٠ شعراء ٠ المترجمادور ٠ ٠٠ وهم
خسب من العرب والاسبان ٠ كتابوا يشهدون في شعرهم قصصا عربية سلبية بعد
التحويرات اللازمة ٠٠ سواء في المحتوى أو اللغة ٠٠ كل ان اسم ٠ المترجمادور ٠ هي
مرج بين لغتين عربية والاسبانية ٠ ويألف من قصصين ٠ عرب ٠ وهي الكلمة
الاسبانية بمعنى ٠ الفرقة ٠ والكلمة العربية ٠ تدور ٠ ٠

وكما يعلم ان البحري داني مؤلف ٠ لكونيديا الالهية ٠ اول عمل أدبي باللغة
الايطالية قد استمد فكرته ورويته من ٠ روضة العرب ٠ لابي السلاء اعري ٠٠
وشهدت أوروبا مولد لقصة المعينة على بيد بوكاشيو مؤلف ٠ الديكاردو ٠ وهي
مجموعة قصصية استمد بوكاشيو مادها من كتاب ألف ليلة وليلة ٠

٠ ألف ليلة وليلة ٠

رغم الأصول لعارسة والهندية في ٠ الليالي ٠ فقد تعيرت تعبير كاملا في الأمة
العربية لاسلامية ٠٠ وشهدت على قصص عربي من العرب والشام ومصر ٠٠ وقد

عرفت أوروبا « ألف ليلة وليلة » بعد أن قام الفرنسي أنطوان جالان بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .. وأخذ منها بوكاشيو (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) وشوسر الانجليزي (١٣٤٥ - ١٤٠٠ م) . وللاحظ أن القصص الأوربي كان ينقل الفن العربي بشكل مباشر ومثير دون أي ذكر للمصادر العربية .. والفريق أن أوروبا تعد كلا من بوكاشيو وشوسر روادا لفن القصة في حين تتجاهل المصادر التي استمدت منها مادة قصصهم .

الإشعار العربية وفن القصة

احتفل العرب منذ أقدم العصور بالشعر .. وصاغوا نظم قصصهم في قوالب شعرية راقية .. بل لقد صاغوا أحداث قصصهم في شعر يكاد يقرب من العمل المسرحي .. ومع ذلك لم يترك لنا الفنانون العرب القدماء أية مسرحية .. ولم يزدهر الأدب المسرحي رغم اكتمال كل مقوماته .. فهناك قصائد تكاد تعكس مواقف تمثيلية .. نجدها عند امرئ القيس وجميل ووضاح اليمن وعند أبي نواس وأبي الرومي وأبي فراس .. ولنتأمل قطاعاً من قصيدة لوضاح اليمن :

قالت : ألا لا تلجن دارنا
 أن أبانا رجس غائر ؟
 قلت : فاني طالت غرة
 منه وسيفي صارم ياتر
 قالت : فهذا البحر ما بيننا
 قلت : فاني سابح ماهر
 قالت : فعولي أخوة سبعة
 قلت : فاني غالب قاهر
 قالت : اليس الله من فوقنا ؟
 قلت : بلى ، وهو لنا غافر
 قالت : لقد أعيتنا حجة
 فات إذا ما هجع السامر
 واسقط علينا كسقوط الندى
 ليلة لا ناء ولا زاجر !!

هذا العمل المسرحي الفني المتكامل وأمثاله لم يقدر له أن ينفذ تمثيلاً .. ذلك أن الواقع العربي بكل ما يحويه من إبداع فني كان يستمتع بالرواية والانشاء

والاستماع أكثر من أي شيء آخر .. هذه الظاهرة التي لا تزال تعيش في أقطار كثيرة من الوطن العربي .. في البوادي والقرى .. فما زال المتشدون يشدون قصى البطولات بالشعر .. وما زال الناس يستمعون بالسماع رغم انتشار وسائل الاعلام الحديثة في بلادنا ..

القصة العربية الحديثة

رغم كل هذا التراث القصصي في الحضارة العربية على الصعيدين الشعبي والذاتي فقد ظل القناون العرب مترددين في كتابة القصة الحديثة .. ذلك أن تباشير النهضة الثقافية العربية بدأت والكتاب العرب غارقون في متاحف المصنات البدئية والألفاظ والمعارب الرنانة .. وكان الاهتمام باللغة الفصحى ذات الجرس المتميز بينما انزوت الأحداث والتعليقات والتركيبات الفنية في الظل .. ومع ذلك بدأت الخطوات الحديثة نحو إيجاد فن قصصي حديث .. وبدأ الكتاب العرب يقفون في تراثهم الفني القصصي اللغوي المريق بحثاً عن شخصيتهم .. وظهرت في البدء مجموعات قصصية لا زالت متملقة بالمصنات المنطقية والعنمة الكلامية وتحاول تقليد القداس كما فعل الدكتور إبراهيم جعنة حين أعاد أحياء المقامات .. وكما فعل الأستاذ توفيق الحكيم في كتابه الرائع « يوميات نائب في الأرياف » كذلك تمددت الكتب التي تنهج نهج القداس أمثال حديث عيسى بن هشام وغيرهم .. حتى التعريفات العربية للرواية الأوروبية لم تسلم من ذلك كما تشهد في تعريفات الشيخ المنغلوطي الشهيرة « ماجدولين » وفي النظرات والمعارف .. الخ .

ثم بدأ فن القصة العربية يتطور تطوراً مذهلاً .. وبدأ يرتقي قمماً عالية لظهر في مصر محمود تيمور ، نجيب محفوظ ، محمد عبد الحليم ، د يوسف ادريس ويوسف السباعي وغيرهم من عشرات الكتاب المظام في فن القصة كتبوا بلغة المستعمر (اللغة الفرنسية) عن واقعنا العربي بكل ما يحويه من جمال وشقاء وعادات وتقاليد وأحلام .. كما صوروا الشخصية العربية أروع تصوير وتورد منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد ديب وميلاد فرعون وغيرهم .. ومن تونس وليبيا وسوريا ولبنان والجزيرة العربية والعراق .. ولا ننسى الكاتب السوداني المائي الطيب بشير .. ومئات من الفنانين العرب الذين يكتبون كتابات لا توصف فقط بأنها عالية ولكن بأنها لفنانين ذوي جذور عميقة في التاريخ .. خلاصة القول إن الحضارة العربية أبدعت في كافة مجالات الحضارة .. ومنها فن القصة ..

الهوامش

- (١) سورة يوسف . الآيات ١ - ٢ .
- (٢) قصة العرب قبل الإسلام : عمر أبو النضر . ص ١٢ .
- (٣) تاريخ العرب ، فيليب حتي ، طبعة لندن ، ١٩٤٣ م . ص ٩ .
- (٤) دكتور عبد الحميد بونس (معاشره عن الأدب العربي) جامعة القاهرة . يناير ، ١٩٦٤ .
- (٥) مقال للكاتب عن
- (٦) الألويسي : « ملوغ الأدب » . جزء ١ ، ص ٢٢٠ .
- (٧) د . نيبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير ، ص ١٦ .
- (٨) القصة العربية القديمة ، محمد مفيد الشويشي ، أبريل ١٩٦٤ ، وفاروق خورشيد « الرواية العربية » ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- (٩) عبد الحميد بونس « الحكاية الشعبية » ، ص ٦١ .
- (١٠) محمد مفيد الشويشي « القصة العربية القديمة » ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ، العدد ١٠٦ .
- (١١) سورة مريم : الآيات من ١٥ إلى ٣٠ .
- (١٢) الفولكلور في العهد القديم ، جيمس فريزر ، ترجمة د . نيبيلة إبراهيم ، ص ٥ .
- (١٣) سفر التكوين ١٥ : من ٧ إلى ١٨ .
- (١٤) سفر التكوين ٣ : من ٢٢ إلى ٢٤ .
- (١٥) سورة البقرة الآيات . من ٣٤ إلى ٣٥ .
- (١٦) سورة طه : الآيات ١١٩ إلى ٢١١ .
- (١٧) سورة البقرة الآية ٣٠ .
- (١٨) الفولكلور في العهد القديم ، جيمس فريزر ، ترجمة د . نيبيلة إبراهيم ، ص ١١ .
- (١٩) سورة هود . الآيات من ٢٥ إلى ٤٣ .
- (٢٠) تفسير الطبري ، جزء ١ ، ص ١٧٩ .
- (٢١) أنظر مقالا للكاتب بالعدد الثالث من الدارة ، ويبيع أول ١٣٦٩ هـ .

المراجع

- ١ - قصة العرب قبل الإسلام - د. عمر أبو النصر *
- ٢ - القصة العربية القديمة - محمد سعيد الشوباشي *
- ٣ - الفولكلور في العهد القديم - جيمس فريزر * ترجمة د. نبيلة إبراهيم *
- ٤ - الحكاية الشعبية - د. عبد الحميد يونس *
- ٥ - تاريخ العرب - فيليب حتي * لندن ١٩٤٧ *
- ٦ - بلوغ الأرب - الألوسي * جزء ١ *
- ٧ - أشكال التلميح - د. نبيلة إبراهيم *
- ٨ - الرواية العربية - فاروق خورشيد * القاهرة ، ١٩٩٢ م *
- ٩ - تلميح الطبري جزء ١ *